بصدد الخطة الرامية والشعارات

غربي او اكثر . فشعار عدم التدخل في الشؤون العربية هو عمليا ، وفي الظرف السياسي العربي الرجعي الراهن، يعني التدخل في شؤون النضال الوطني الفلسطيني بهدف ضربه واجهاضه . هذا هو حال المقاومة الفلسطينية عام ١٩٧٠ في الاردن ، واذا لم يتغير عمليا ، اليوم ، في لبنان فانه سيؤدي الى كارثة حقيقية . فالاكتفاء فقط بشعار حماية المقاومة لكي تتمكن من التفرغ للقيام بواجبها في النضال ضد العدو المشترك اسرائيل ، شعار بائس اقرضته الانظمة البرجوازية للثورة الفلسطينية لكي تستخدمها كاداة ضغط فقط على اسرائيل من اجل بعض الانسحابات من الاراضي العربية المحتلة . لقد بات واضحا للعيان ان النضال الجدي ضد اسرائيل والامبريالية انما يعني النضال بقوة لاقامة انظمة ثورية تقدمية في بلد عربي او اكثر . فحماية المقاومة الفلسطينية مسالة مرهونة بوجود انظمة ثورية لها مصلحة حقيقية بحمايتها وشن الكفاح المشترك معها ضد اسرائيل والامبريالية .

واليوم، لا يمكن حماية المقاومة الفلسطينية في لبنان حماية جدية الا من خلال السعي والنضال لاقامة نظام وطني ديمقراطي .

فليس المطلوب من لبنان ، كما يروج البعض عن سذاجة وتجريبية ، هو بقاء صوت اعلامي للمقاومة الفلسطينية او الاكتفاء بالاعتراف بوجودها اذ كيف يمكن الاطمئنان لعدو يعمل بدون كلل على تصفية المقاومة منذ سنة وستة اشهر ، الى الابقاء على صوت اعلامي وطني او اي وجود ثوري فلسطيني او لبناني . ان الصوت الاعلامي الوطني والوجود الثوري الوطني لا يحميه الا الوطنيين ومن خلال نظام وطني .

ان حماية الرأس باللعب على التناقضات الثانوية والتكتيكات البراجمتية الذرائعية في ظل غياب اي استراتيجية ثورية (لا تكتيك ثوري بدون استراتيجية ثورية) تؤدي، بالنتيجة، الى وضع الرأس تماما تحت المقصلة !

ان التنظيمات والقوى والكتل والتيارات الثورية الفلسطينية مطالبة ، اليوم، بشن نضال حازم ومنظم من اجل شل تردد القيادة الفلسطينية والدفع في اتجاه اقامة نظام وطني ديمقراطي في لبنان كطريق وحيد لحماية وتطوير الثورة الفلسطينية . سيما ان جذرية الصراع على الساحة اللبنانية لا تترك في النهاية، اي مجال لحل وسط فاما الانتصار باقامة نظام وطني ديمقراطي وحماية الثورة الفلسطينية واما هزيمة ساحقة، فتحت اية شعارات ثورية تؤدي الى الانتصار المشترك اللبناني ـ الفلسطيني ينبغي ، اذن ، ان نقاتل ؟

بصدد الشعـــارات

يقول لينين في مقالة «حول الشعارات» : « حين يقوم التاريخ بانعطاف سريع ، كثيرا جدا ما يحدث ان لا تستطيع حتى الاحزاب المتقدمة ، خلال زمن طويل الى هـذا الحد او ذاك ، ان تألف الوضع الجديد وترفع الشعارات التي كانت صحيحة بالامس (هذا لا ينطبق، بالطبع، على الاحزاب والتنظيمات عندنا! ـ الكاتب) ولكن فقدت كـل معنى اليوم ، فقدت المعنى «فجأة» بقدر ما حدث «فجأة» انعطاف التاريخ السريع » .

« ان كل شعار بمفرده ينبغي ان يستنتج من مجموع الخصائص التي تميز وضعا سياسيا معينا » .

فازاء التشوش النظري والتخبط السياسي الناجم عن الطبيعة الطبقية البرجوازية الصغيرة وانعدام الرؤية الاستراتيجية الثورية لديها ، يحتل توضيح ماهية الشعارات اهمية خاصة .

المفاهيم المشوشة والخاطئة بصدد الشعـارات :

بعض هذه المفاهيم المشوشة السائدة ، في تبريره لانعدام الرؤيـة الاستراتيجية العلمية، لا يرى ادنى قيمة نضالية لاهمية الشعارات ، فالمهم هو العمل «بصمت» (لكن في اي اتجاه ؟!) وبعدها يجري «الاعلان» عن العمل بعد انجازه . وهذا النوع من الفهم يبرر التجريبية والتخبط في العمل السياسي باسم الممارسة الثورية ،وهو تحت ستار محاربة نوع معين من التنظير والسياسة الديماغوجية، يحارب كل تنظير ثوري ويتهمه بالثرثرة وتضييع الوقت . وهكذا يتحول هـذا النوع من الفهم التجريبي للشعارات الى مجرد اعلام .

وثمة فهم خاطىء اخر لمسألـة الشعارات ، يتجلى في عـدم الاهتمام بالشعارات التي تتناول مجمل الوضع السياسي فيتم تحويل الشعارات المركزية الى مجموعة من الشعارات الاقتصادية المتناثرة هنا وهنا ، وترداد بعض لشعارات السياسية الدفاعية في مواجهـة سياسة الخصم . اما طرح الشعار الذي يستجيب لجوهر المهام الثورية المختلفة للوضع السياسي فانه دائما مسالة مؤجلة . وذلك بفعل غياب الاستراتيجية الثورية وفي صلبها مسالة السلطـة السياسية . وهذا النوع من الفهم يتميز بـه الاصلاحيون «اليساريون» .

الا ان القاسم المشترك بـين جميع انماط الفهم الخاطىء لمسألة الشعارات ودورها انما يكمن في غياب استراتيجية علمية ثورية . فبدون استراتيجية ثورية يستحيل فهم الخصائص السياسية للمرحلة بكل تعرجاتها وغناهـا ، وبالتالي يصعب استخلاص الشعارات الثورية الملائمة ، او انها تظل خاضعة لانتقائية والنزعة الارادية والتجريبية .

الخلط بين الشعار كحلقـة مركزيـة وبين نقاط البرنامـج المختلفـة :

ان نقاشنا ، هنا ، انما يدور مع اولئك الذين يرددون مختلف الشعارات العامة ويوافقون على كـل شيء طيب وحسن «وثوري» بصورة متساوية من الاهمية ، مما يسهل عليهـم التنصل فيما بعد وبزئبقية مذهلة من اية مسؤولية سياسية مادامت المسألة لا تتعدى نطاق الالفاظ والعموميات . فكل الامور والمسائل مهمة وغير مهمة في نفس الوقت مادامت متساوية في الاهمية!

يقول لينين : « ان الاستعاضة عن الملموس بالمجرد انما هو خطأ مـن الاخطاء الرئيسية ، الاخطاء الاكثر خطرا في الثورة » .

ومما يسترعي الانتباه ان هناك قاسما مشتركا بين معظم التنظيمات الوطنية اللبنانية والفلسطينية بصدد ترداد الشعارات العمومية والتي كان يتم طرحها قبل احتدام الصراع وهي تلوح وكأنها صالحة في كل مكان وزمان بصرف النظر عن ظروف الوضع السياسي . نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر : لبنان وطني ديمقراطي ، حماية الثورة الفلسطينية ، النضال ضد التقسيم، دحر التدخل العسكري الخارجي، وحدة القوى الثورية العربية ، استمرار القتال والنضال ضد التسوية الخ .. وهـذه الشعارات ليست مرفوضة بالطبع، ولكن اين الحلقة المركزية، العمود الفقري، العامل الحاسم الذي يعطي هذه الشعارات الجسم واللحم والدم ، اين الشعار الذي ينبغي،كما يذكر لينين، « أن يستنتج من مجموع الخصائص التي تميز وضعا سياسيا معينا » ؟ .

ان سيادة نظرية المهمات المتساوية في الاهمية فيما يتعلق بالشعـارات من شأنـه ان يلحـق افدح الضرر بقضية النضال الثوري . فهذه النظريـة الميكانيكية التجزيئية ترصف العوامل والاسباب والشعارات فوق بعضها البعض دون ادنى معرفة بقوانـين علم المجتمع والثورة ، وهي بذلك تفقد المناضلين والثوريين الاتجاه السليم والقدرة على التأثير والتغيير . انها نظرية تأملية غير كفاحية، تساعد المنطق الانتهازي في تبرير نفسه وتنصله من اداء المهمة الثورية الحقيقية . اذ انها تسهل القول امام اي اخفاق : « ما العمل ؟ لقـد كنت موجها جهودي في الاتجاه الاخر ؟ » فمن يستطيع ، اذن ، ان يحمل المسؤولية لهذا القائل مادامت كل الشعارات والمهام لها نفس الاهمية ؟

ولكن هذا غـير صحيح من الناحيتين الواقعية والمنهجية ، فالمهام والقضايا تترابط في الواقع ترابطا جدليا وثمة قضايا يتوقف على حلها بالذات انجـاز بقية المهام الاخرى .

واذا ما عدنا الى مسالة الشعارات المطروحة بصورة متساوية في الاهمية، فاننا نلاحظ بجلاء وانطلاقا من «مجموع الخصائص التي تميز الوضع السياسي» في لبنان، ان الشعار المركزي (الذي في سياق عملية تحقيقه، وبعدها، يجـري انجاز سائر الشعارات والمهام الاخرى المطروحة) هو النضال لاقامة نظام وطني ديمقراطي في لبنان اي سلطة وطنية ديمقراطية . فمن باب تحصيل الحاصل ان نظاما وطنيا كهذا سيكون درعا حقيقيا للثورة الفلسطينية، وفي اثناء عملية تحقيقه سيجري ضرب كافة اشكال التهويل بالتقسيم ، وسحق المؤامرة بتصفية وحل التنظيمات المسلحة والسياسية للفاشيين ،ودحر التدخل العسكري الرجعي للنظام السوري وكافة اشكال التدخـل العسكري الخارجي الرجعي والامبريالي والصهيوني .

كما ان وحدة القوى الثورية العربية اتما تتجلى من خلال الدور الثوري المتفاوت النضج الذي يمكن ان تلعبـه بعض هذه القوى ، بفعل ظروف موضوعية وذاتية محددة . واليوم ينبغي ان يتجلى دور القوى الثورية اللبنانية والفلسطينية من اجـل تدعيم وحـدة القوى الثورية العربية، في عملية التوجـه لبناء نظام وطني ديمقراطي في لبنان معاد للتسوية الامبريالية في المنطقة العربية، وقادر على لعب المتنفس والداعم الحقيقي (في ظل الظروف السياسية الرجعية العربية) لكافة القوى الثورية العربية ..

دلالة طرح الشعار المركزي دون معرفـة تجسيده

هناك بعض التنظيمات الثورية قطعت شوطا بعيدا في اتجاه تبني الشعار المركزي : بناء نظام وطني ديمقراطي في لبنان ، ومهما كانت هذه الولادة عسرة خاصة في ظـل الظروف العربية الرجعية القائمة . ولكن ترداد الشعار دون تحديد كيفية تجسيده في ارض الواقع من خلال القيام بنضال ثـوري وجماهيري حازم وواسع النطاق ، انما يعكس خللا نظريا وسياسيا لا بد من تداركه وللحيلولة ، بالتالي ، دون الوقوع في اسار النظرة التأملية غير الكفاحية والبقاء في حدود العمومية والاكتفاء من الشعار بالدعاية الاعلامية .

واذا كانت مهمة بناء نظام وطني ديمقراطي تعبر عن المصلحة الحقيقية لمعظم القوى الثورية اللبنانية والفلسطينية ، فان المسافة النظرية والايديولوجية والسياسية التنظيمية والتعبوية تتطلب القيام بنضال جماهيري ثوري شاق وحازم لاجـل ردم هـذه المسافة ودفع التنظيمات المترددة الى تبني الشعارات الثورية او التعرض الى العزلة الجماهيرية . وكما يذكر لينين في مقاله «حول الشعارات» بأن «النضال الحاسم لن يكون ممكنا الا مع نهوض جديد للثورة في اعمق أعماق الجماهير» .

ينبغي ، دائما ، الحذر واليقظة الثورية العالية من الاكتفاء بترداد الشعار بدلا من التوجـه النضالي لتجسيده في الواقع ،كما ان الشعار الثوري يفقـد محتواه النضالي والثوري اذا لـم يكن يستجيب للضرورة التاريخية والسياسية، اي انـه غـير مفصل على مقاس مفاهيم ووزن القوى الثورية الاخرى ، بل على اساس ما تتطلبـه المرحلة السياسية من مهام . فما جدوى القول، في النهاية ومن الناحية العملية، بان الشعار ثوري ولكن القوى الاخرى المؤثرة لـم توافق عليه، وان وزننا السياسي مازال ضعيفا لكي نتمكن من فرض هذا الشعار او ذاك . ولذا ، فان علينا القيام بتطوير امكانياتنا الذاتية حتى نصبح قـوة مؤثرة قادرة على فرض الشعارات الثورية !

ولكن ، لنتذكر ، ايها الرفاق ، قول لينين في « ما العمل »بان الحـزب لا يمكن ان ينمو الا في مواجهة مهامه الثورية ..

كيف يمكن تجسيد الشعـار :

قبل الحديث عن كيفية تجسيد الشعار يجدر بنا أن نشير الى خصائص الوضع السياسي . فاذا كانت الشريحة الكومبرادورية المارونية التي تمثـل الوزن الرئيسي في السلطـة والاقتصاد ، هي التي بادرت من خلال تنظيماتها المسلحة الى شن الهجوم الفاشي مدعومة من الحلف الرجعي العربي الامبريالي فان الشرائح الاخرى من الطبقة الكومبرادورية (المفتتة والمشوهة النمو) سواء منها الشريحة السنية او الشيعية موافقة تماما على اهداف المشروع الفاشي وتسهل لـه مهامه للقيام بدوره حتى على الصعيد العسكري . وذلك كما حدث في النبعة، مؤخرا، على ايدي رجال موسى الصدر والاسعد .

وهذا يعني من الناحية العملية ، ان التناقضات الثانوية بين شرائح النظام الكومبرادوري القائم (والتي اذكاها احتدام الوضع الثوري الوطني في مرحلـة سابقة) لم تعد تلعب اي وزن مؤثر على صعيد المواقف والاحداث السياسية .

ان كل الطبقة ينبغي الاطاحة الثورية بها دون رحمة او تردد .

ثم ان تردد القوى الوطنية في حسم مسألة الموقف السياسي من السلطـة السياسية ، قد ادى وعبر تدخل الرجعيات العربية الجديدة والقديمـة الى اضعاف وزن الحركة الوطنية والمقاومة الفلسطينية وتثبيت وتحسين مواقع الفاشيين ، كما ادى بالمقابل الى محاولة تكريس الشرعية الزائفة للنظام بواسطة كانت ممثلة بفرنجية ام بسركيس . فتغير الاشخاص والرموز لا يغير من جوهر المصالح الطبقية والسياسية التي يمثلونها .

ورغم الضربات الموجعة التي وجهها مؤخرا التحالف الفاشي مع النظـام السوري الى المقاومة والحركة الوطنية ، فان مهمات المرحلـة السياسية لـم تتغير ، بل اكد تطور الاحداث والصراع ، ومن خلال الاف الجرحى والشهداء ، بأن الاوهام البرجوازية الصغيرة حول الحلول الوسط قضية زائفة وضارة بمسيرة ومستقبل النضال الوطني والثوري . ونحن اذا كنا لا نقف ضد مبدأ المساومات بالمطلق ، نظرا لاضطرار القوى الثورية في لحظات محددة الى ابرام هدنـة مؤقتة تمكنها من التقاط انفاسها ، فان الوضع هنا يختلف تماما . فالصراع وصل الى نقطة من الاحتدام المسلح بحيث لم يعد قابلا ، في النهاية ، ازاء شراسة الهجمة وجذرية الصراع لاي نوع من الحلول الوسط .

ان مهام المرحلة لم تتغير ، وان كان قد طرأ عليها تعقيدات كثيرة بسبب تردد القوى الوطنية ووقوفها على أرض الشرعية الزائفة للنظام .

فالمطلوب لتجسيد الشعار الثوري لاقامـة نظـام وطني ديمقراطي ، هو الاطاحة الثورية بالشرعية الزائفة للنظام العميل . وذلك يتم من خلال قيام القوى الثورية بالدعوة الى عقد مؤتمر شعبي وطني يجري التحضير الثوري لـه في المناطق التي تسيطر عليها القوى الوطنية والمقاومة الفلسطينية .

ففي كل قرية وحي وموقع انتاجي او تجمع كبير (مدرسة ثانوية ، جامعة الخ ...) تجري عملية التحريض والدعاية الثورية لعقد مؤتمر محلي يضم المواطنين الشرفاء المقتنعين ، الى هذا الحد او ذاك ، بضرورة لعب دور في الحياة السياسية والاجتماعية . ويتم في هذا الاجتماع الموسع مناقشة قضايا الوضع السياسي الراهن ككل ويحق لاي مواطن الادلاء برأيه السياسي لمدة زمنية معينة ، وتدور عملية جدل وحوار سياسي قد تستمر لعدد من الاجتماعات وبعدها تجري عملية التصويت لانتخاب هيئة المؤتمر المحلي وهذه بدورها ، بالاشتراك مع عدد واسع من المؤتمرين ، تتوزع على لجان مختلفة : سياسية اعلامية ، اجتماعية وتموينية ، صيانة صحية ، عسكرية لتدريب كافة اعضاء